البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي (1608-1656)

د.هشام سوادي هاشم
قسم التاريخ-كلية التربية
/جامعة الموصل

شهد القرن السادس عشر نشاطا واسعا للبحرية الجزائرية التي أخذت تمد نشاطها شرقا صوب سواحل الشام وصولا إلى السواحل العثمانية, الأمر الذي تزامن مع التغير الذي طرأ على السياسة العثمانية وتوجهاتها نحو الولايات العربية لاسيما منذ عهد السلطان سليم الأول (1512 - 1520)، الذي عمل على بناء قوة بحرية يستطيع من خلالها انتزاع السيادة البحرية من الدول الأوربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. وقد برز البحاران عروج وأخوه خير الدين المعروف بربروسا (أي ذو اللحية الشقراء) اللذان كانا يملكان أسطولا قويا متخذين من ميناء جيجل الجزائري قاعدة لنشاطهما البحري.

أثار هذا النشاط البحري اهتمام واحد من المؤرخين العثمانيين في القرن السابع عشر, وهو كاتب جلبي (1608- 1656) الذي وضع كتابا مهما في تاريخ البحرية العثمانية والموسوم ب(تحفة الكبار في

أسفار البحار) والذي طبع في استانبول باللغة العثمانية القديمة سنة (1142)، في مطبعة إبراهيم متفرقة، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي درست وأرخت للبحرية العثمانية ونشاطها في حوض البحر المتوسط. وقد أفرد جلبي صفحات كثيرة للكلام عن نشاط البحرية الجزائرية وسيكون كتاب أسفار البحار هو الأساس الذي يستقي البحث مادته العلمية لتشكيل الصورة التاريخية لنشاط البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر.

والحقيقة قد يستخرج الباحث من أصل تاريخي واحد حقائق متنوعة عن اللغة والعقائد والعلوم المعرفية المختلفة وفي كثير من الأحيان تصل الحقائق إلى الباحث دوم ترتيب أو تقسيم وهذا النمط من الحقائق هو من أهم الخصائص التي تميز بها الحقيقة التاريخية عن غيرها. وهذا ما جعلني اعتمد على كتاب تحفة البحار لكاتب جلبي أساسا لدراسة موضوع بحثي.

سيرته الذاتية

ولد عبد الله مصطفى أو ما يعرف عند العرب بحاجي خليفة، والمشهور عند الأوربيين بكاتب جلبي[1]، في استانبول سنة 1608 في أسرة متواضعة فأبوه كان كاتبا صغيرا في الديوان العسكري العثماني، وبعد أن أنهى تعليمه الأولي انخرط مع أبيه في الديوان العسكري سنة 1623 ليتدرب على الأعمال الكتابية. ولم يلبث أن شغل وظيفة ثانية متواضعة هي محاسب في وحدات الجيش العثماني

في الأناضول، وفي سنة 1629 اشترك في الحملة التي قادها الصدر الأعظم خسر وباشا على بغداد، وفي السنوات ألثمان التالية عمل في الحملات العسكرية التي قادها السلطان مراد الرابع (1623-1640) ضدّ الصفويين. وإبّان مكوث الجيش العثماني في حلب خلال سنتي 1632-1636 سعى كاتب جلبي إلى الاستفادة من الثقل الثقافي والإرث المعرفي لهذه المدينة، حيث أعجب بها ودهش بمكتباتها العامرة وما تحويه من مصادر غنية عن الثقافة العربية والإسلامية فبدأ بفحص محتوياتها وتدوين عناوين المخطوطات ومضمونها[2].

وبعد عودته إلى استانبول ورث ثروة طائلة آلت إليه بعد وفاة عدد من أقاربه ساعدته إلى درجة كبيرة في التفرغ لتحصيل العلم والمعرفة فانصرف لمدة عشر سنوات لدراسة التفسير والحديث والمنطق واللغة ثم تحول إلى دراسة الرياضيات والفلك والجغرافية والطب. ويفصل لنا سيرة من حياته في ترجمته التي كتبها بقلمه وألحقها بأحد كتبه وهو "ميزان الحق في اختيار الأحق" وتسوف تاريخ حياته إلى العام السابق لوفاته. أنه كيف كان يصرف مبالغ طائلة لاقتناء الكتب. ثم لم يلبث أن اتسعت شهرته وبدأ يخطو شيئا فشيئا في مجال التدريس. وقد هرع إلى مد العون إلى قائد الجيش العثماني محمد باشا في عام 1648 فعينه نائبا بالدائرة المالية لديوان الجيش. وبهذا ثبت عليه بالتالي لقب حاجي خليفة. وعد هذا الأمر يذكر انه لقب بهذا اللقب بعد أن حج وترقى بين الكتاب إلى مرتبة

النيابية عن رئيس الكتاب. وذلك أن صغار الكتاب كانوا يسمونهم الملازمين وفوقهم الخلفاء الذين يسبقهم الرئيس الأعلى للكتاب[3].

وبسبب خبرته المالية عهد إليه السلطان محمد الرابع (1648-1687) للبحث عن الوسائل الناجعة لإجراء التحسينات على ميزانية الدولة. وقد وضع حاجي خليفة مذكرة رفعها للسلطان اسماها (دستور العمل في إصلاح الخلل) سنة 1653 عكس فيه تصوره السياسي حول الانحطاط المالي للدولة العثمانية والإجراء المطلوب لإصلاح الخلل ومعالجته في بنيان الدولة ويكون ذلك براية في إصلاح يتجاوز الإصلاح الديني. ليطال مسائل اجتماعية وسياسية واقتصادية والمسألة الملفتة للنظر في هذا الكتاب تبنى حاجي خليفة للمنطق الخلدوني في تفسير التاريخ القائم على إعمار الدول[4]. ومؤكّدا أن الدولة العثمانية بحاجة إلى إعادة النظر في أساليب الإنتاج الزراعي وتجديد المؤسسة العسكرية في ضوء التقنيات الحديثة وتنظيم الموارد المالية للدولة.[5]

المحور الأول : البحرية الجزائرية في عهد الأخوان عروج وبربروسا

يتفق معظم مؤرخي تاريخ العرب الحديث أن القرن السادس عشر كان بحق العهد الذهبي للبحرية الجزائرية حيث شهد هذا القرن صراعاً قوياً بين البحرية الجزائرية وبعض القوى الأوربية (الاسبانية – البرتغالية) التي حاولت التوسع في سواحل المغرب العربي قبل سقوط الأندلس عام 1492م. وقد نجحت البحرية الجزائرية في

إيقاف هذا التوسع وجعله مقتصراً على السواحل دون الدواخل، وبرزت خلال هذه الفترة شخصيات إسلامية لعبت دوراً كبيراً في التصدي للتوسع الأوربي وأهم هؤلاء الإخوان عروج وخير الدين بربروسا[6].

ينتمي الإخوان أروج وخير الدين إلى أسرة تعود في أصلها إلى جزيرة مدلي حيث كان أبوهما يعمل عسكرياً (اسباهياً) في جيش السلطان محمد الفاتح واشتهرت أسرتهم بالعمل التجاري لاسيما بعد أن تخلص عروج من أسره بمساعدة أخيه خير الدين ثم تولى قيادة سفينة البحار العثماني الشهير علي ريس الذي تعرف عليه في مدينة أداليا ليقوم بنقل الأخشاب والتجارة فيها. وبعدها دخل في خدمة السلطان المملوكي قانصوه الغوري لكن الأمر لم يدم طويلاً عام بعدها إلى اداليا ليعمل على تجهيز أسطول الجديد بمساعدة ابن السلطان بايزيد الثاني العثماني الأمير قورقورد الذي كان معروفاً براعيته للبحارة وسعيه لتخليص الأسرى العثمانيين من أيدي فرسان رودس وبالفعل منح عروج سفينة كبيرة بدأ فيها نشاطها البحري من جديد بالإغارة على الجزر التابعة لرودز والقرصنة على سفنها[7].

في هذا الوقت كانت دول المغرب العربي تعاني أوضاعاً سياسية مضطربة بسبب السيطرة الاسبانية على أجزاء كبيرة منها، فالأسبان بعد إنهائهم الحكم العربي الإسلامي في الأندلس فإنهم أزاحوا من طريقهم أكبر قوة كانت ممكن أن تحول دون توسعهم

في السواحل المغاربية فالأنظمة السياسية في فاس والجزائر كانت تعيش انهياراً عسكرياً وسياسياً واضحاً للعيان لذلك لم يكن في البحر المتوسط أسطول الإسلامي بوسعه إيقاف تقدم القوات الإسبانية التي أصبح في مقدورها السيطرة على أي منطقة ترغب في السيطرة عليها، لاسيما وأن الحكومتان الإسبانية والبرتغالية كانتا تسعيان إلى الهيمنة على الطرق التجارية الشرقية وتقيمان قواعد لهما على سواحل أفريقيا الشمالية تأمن مصالحهما[8].

غير أن الحكومة الإسبانية لم تكن تستهدف فقط إقامة المراكز التجارية بل كانت تتبع سياسة استعمارية بكل معنى الكلمة، ساعية إلى مواصلة سياستها التي بدأتها في الأندلس والتي تمثلت في إبادة المسلمين لذلك سعى الأسبان إلى السيطرة على ميناء وهران غربي الجزائر سنة 1509م بعد أن قتلوا 4000 من سكان المدينة وأسروا 8000 آخرين. واحتلوا بعدها ميناء بجاية ولم يمضي وقت طويل حتى وقعت في أيديهم مدن عديدة منها الجزائر وتنس ومستغانم وشرشال ودلس[9].

وفي خضمّ هذه الظروف وصل عروج وأخوه خير الدين إلى جزيرة جربة التي اتخذاها قاعدة لنشاطهم البحري حيث لم يمض وقت طويل حتى ذاع صيتهما بما حصلا عليه من غنائم كبيرة لكنهما بمرور الوقت أدركا إن جزيرة جربة غير مأمونة لهما لكونها مكشوفة ولا توجد فيها قلعة يمكن الاحتماء بها عند

الضرورة، الأمر الذي جعلهما يبحثان عن مكان آخر تتوافر فيه شروط الأمان فتوجها إلى سلطان تونس أبي عبد الله محمد الحفصي طالبين منه منحهم ملاذاً أمناً في مملكتهم. وكان السلطان الحفصي يدرك جيداً القدرة التي يمتلكها الأخوان عروج وخير الدين والتي من الممكن استغلالها والاستفادة منها لصالحه، فوافق على منحهم منطقة حلق الوادي مقابل حصول على خمس ما يحصلون عليه من غنائم[10].

استمر أسطول عروج بممارسة نشاطه البحري بالإغارة على السفن الأوربية حتى غدا بمرور الوقت الوحيد القادر على مواجهة الأساطيل الإسبانية الأمر الذي دفع الحاكم السابق لبجاية الأمير عبد الرحمن إلى الاستنجاد به وكان عروج يدرك جيداً إن استعادة بجاية سيكون له تأثير كبير على مستقبله لذلك لبى بسرور طلب الأمير عبد الرحمن الذي جهزه بثلاثة آلاف مقاتل أضاف إليهم عروج 200 من بحارته وحاصرت هذه القوات قلعة بجاية لكن لم تستطيع السيطرة عليها وفي المعركة أصيب عروج بيده. وخلال ذلك وجد عروج أنه لا يمكن له الاستمرار في نشاطه البحري لمواجهة التوسع الأوربي بالاعتماد على إمكانياته الذاتية المحدودة، إذ لابد له الاستعانة بإمكانيات دولة كبيرة فاتجه نظره إلى الدولة العثمانية الإسلامية لذلك أرسل أحد بحارته وهو بيري ريس إلى السلطان سليم الأول الذي رحب به ومنحه سفينتين حربيتين كبيرتين مجهزتين بالسلاح والعتاد وأذن له أن يجند ما يشاء من البحارة من الأناضول[11].

مثلما مر بنا سابقاً احتل الأسبان مدن عديدة كان أهمها مدينة الجزائر التي فرض على سكانها ضرائب كبيرة أثقلت كاهلهم مما دفع حاكمها سالم التومي إلى الاستنجاد بعروج لتخليص المدينة من الاحتلال الإسباني وتعهد له بالسماح له بالإقامة في مدينة الجزائر ولم يتأخر عروج في تلبية الدعوى فأرسل أسطوله إلى ميناء الجزائر وسار مع 800 من بحارته بطريق البر وانظم إليه 5000 من المتطوعين من أبناء القبائل في هذا الأثناء بدت القوات الإسبانية المرابطة في المدينة بالانسحاب منها إلى ميناء بينون الاسباني المقابل للسواحل الجزائرية لإدراكها صعوبة الوقوف بوجه القوات القادمة ليدخل عروج وقواته المدينة سنة 1516 وسط حفاوة كبيرة من السكان والأهالي[12].

شكل دخول عروج للجزائر صدمة كبيرة للأسبان جعلهم يصابون بقلق كبير، والحقيقة إن بروز الإخوة بربروس كقوة عسكرية لا يستهان بها أوقع الأسبان في اضطراب كبير لأن بروز هذه القوة سيؤدي بالتأكيد إلى الحد من توسعات في السواحل الجزائرية خاصة والشمال أفريقية عامة، الأمر الذي جعل الملك الاسباني شارلكان بالتعامل بجدية أكبر من الموقف الجديد، فأرسل في أيلول 1516 أسطولاً كبيراً ضمّ 400 سفينة حربية و140 سفينة تقل 15000 مقاتل إلى الجزائر التي حاصروها وقامت القوات الإسبانية بضربها بالمدافع وكانت المدينة تسقط بيد الأسبان لولا بسالة المدافعين واستماتتهم في الدفاع عنها مما أجبر القوات

الاسبانية على الانسحاب بعد أن تكبدوا 1500 قتيل وعدداً كبيراً من الأسرى وفقد الأسطول الإسباني معظم سفنه[13].

رغم موقف عروج الملبي لنداءات أهل المغرب إلا أن ما يؤسف له إن بعض الأمراء لم يرحبوا بالفاتحين الجديد (العثمانيين) والتجئوا إلى الأسبان متحالفين معهم على محاربة أبناء جلدتهم وكان على رأسهم أبو حمو الثالث حاكم تلمسان الذي استنجد بالأسبان الذين سرعان ما قدموا له المساعدة ومدوه بالسلاح وتمكنت القوات الإسبانية من اجتياح قلعة بني راشد التي كانت بيد العثمانيين وسارت نحو تلمسان المعقل الرئيسي لقوات عروج وقاموا بمحاصرتها ودكها بالمدافع ورغم مقاومة عروج وقواته إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود بسبب ضخامة القوات الإسبانية مما اضطره إلى الانسحاب مع من بقي من قواته إلى خارج المدينة إلا أن الأسبان لحقوا به وقتلوه عام 1518 [14].

بعد استشهاد عروج يذكر المؤرخ العثماني أحد جودت أن أهالي الجزائر طلبوا من أخليه خير الدين تولي إدارة مدينة الجزائر فلبى طلبه[15].

وعلى الرغم مما اتصف به خير الدين بربروسا من قوة وشجاعة، فإنه أدرك صعوبة موقفه بعد استشهاد أخيه عروج، نظراً لضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي. ولأنه خشي من قيام تمرّدات من سكان الجزائر والمناطق المجاورة لها، فيستغل الأسبان

ذلك الوضع بالهجوم على الجزائر. كما سمحت هذه الظروف بعودة بعض القيادات المحلية التي رفضت من قبل الانضواء تحت نفوذ عروج وخير الدين بربروسا، فأرادت استعادة نفوذها وسلطتها. فالزيانيون عادوا إلى حكم تلمسان تحت الحماية الإسبانية، والسلطان الحفصي يريد أن يمد نفوذه إلى الجزائر، كما أعلن أحمد بن القاضي سيطرته على مناطق زواوة، وثارت كل من تنس وشرشال[16].

لذلك كان خير الدين مدركا صعوبة صموده من دون الدخول تحت حماية دولة قوية تحمية لذلك لجأ إلى أهم قوة إسلامية في تلك الفترة وهي الدولة العثمانية، فقرر مغادرة الجزائر والذهاب إلى استانبول. فجمع علماء وأعيان البلاد واخبرهم بذلك الأمر، لكنهم ردوا عليه بقولهم : "يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس" وهذا دليل على إصرار الكثير من أهالي الجزائر على بقاء خير الدين لحمايتهم من المخاطر التي تهددهم من الأسبان. لكن خير الدين أجابهم أنه بقي وحيداً بعد استشهاد أخوته وليس له معين من بعدهم، لاسيما بعد ما رآه من موقف الزيانيين والحفصيين خلال محاربة أخيه عروج الإسبانيين ورفضهم إعانته. لكن الأهالي أصروا على موقفهم وناشدوه الموافقة، فاضطر خير الدين بربروسا على الموافقة[17]. وبعد ذلك عرض عليهم فكرة ربط الجزائر بالدولة العثمانية صاحبة القوة الفعلية في المشرق العربي آنذاك. لاسيما بعد انتصارات السلطان سليم الأول (1512-1520م) على الدولة الصفوية في عام 1514، وضمه

بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن في عامي (1516-1517) بحيث أصبحت الدولة العثمانية على تماس مع المغرب العربي، وبذلك يتمكن من خلالها الحصول على الدعم المادي والعسكري الذي سيساعده في السيطرة على الجزائر والوقوف بوجه أعدائه[18].

وكان هدف خير الدين بربروسا من ذلك هو ربط الجزائر بالدولة العثمانية، بل وكانت رغبته أن يذهب بنفسه إلى استانبول ليعرض على السلطان سليم الأول شخصياً أوضاع البلاد، وأبعاد قضية الجزائر، لكن علماء وأعيان الجزائر لم يوافقوا خشية أن يستغل الأعداء ذلك، وأشاروا عليه بأن يوفدوا بعثة أو سفارة إلى السلطان العثماني تقوم بهذه المهمة عوضاً عنه، وتحمل معها رسالة باسم القاضي والخطيب والفقهاء والائمة والتجار والأعيان وكافة سكان الجزائر. وقد تضمنت الرسالة عبارات الولاء العميق للدولة العثمانية والتقدير العظيم للسلطان والرغبة الأكيدة لسكان الجزائر في الاعتماد على الدولة العثمانية. ووقع اختيار خير الدين بربروسا على العلامة الشيخ أحمد بن القاضي ليكون رئيساً للوفد، كونه شخصية دينية علمية وذو دراية عسكرية بشؤون الحرب، فضلاً عن أن غاية خير الدين بربروسا من ذلك قتل رغبة أحمد القاضي في القيام بأي نزوح للتمرد والاستقلال[19].

غادر وفد الجزائر متوجهاً إلى استانبول، حاملاً رسالة أهالي الجزائر التي جاء فيها ما يلي : "إن أهل المدينة هم عبيد للسلطان

العثماني، ليس لهم ملاذ سواه، يفزعون إليه في موقفهم الحرج. .." ثم أشادوا بأفضال بابا عروج في مدافعة "الكفار لأنه كان ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهدين في سبيل الله" إلى أن وق شهيداً في حصار الإسبانيين لمدينة تلمسان، وخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أو التقى خير الدين، وكان له خير خلف، فقد دافع عنا، ولم نعرف عنه إلا العدل والإنصاف واتباع السنة الشريفة، وهو ينظر الى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد وإعلاء كلمة الله، ومناط آماله سلطنتكم العالية، مظهراً إجلالها وتعظيمها، على أن محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون، ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية. وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي. وإن المذكور حامل الرسالة المكتوبة سوف يعرض على جلالتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام"[20].

فرح السلطان سليم الأول بهذه البعثة فرحاً عظيماً، لأنها تضع تحت تصرف الدولة العثمانية شواطئ المتوسط الغربية دون كلفة أو عناء. في حين يرى أحد الباحثين أن صلة العثمانيين بالجزائر تعود إلى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حيث تقول : "وفي بعض النصوص المحلية وجدنا العثمانيين كانوا على صلة بأهل المدن الساحلية الجزائرية لاسيما علماء الدين يتعاملون معهم، ويحاربوا معهم العدو المشترك"[21].

ومهما يكن من أمر فإن البعثة الجزائرية نجحت في تحقيق أهدافها، عندما أعلن السلطان سليم الأول، موافقته على طلبهم. كما منح خير الدين بربروسا لقب باشا ورتبة بكلربك -أي أمير الأمراء-. وهذا اللقب يمنح صاحبه سلطات إدارية واسعة ويجعله قائداً أعلى للقوات المسلحة في إقليمه وممثلاً للسلطان. بدليل دعوة السلطان سليم الأول كافة حكام المغرب العربي الى التعاون مع خير الدين باشا لصد الاحتلال الإسباني، ولكون الجزائر أصبحت تحت السيادة العثمانية، فإن أي اعتداء على الأراضي التي يديرها خير الدين باشا بربروسا صار يعد اعتداء على الدولة العثمانية[22].

ثم قام السلطان سليم الأول بإرسال قوة مؤلفة من (2000) انكشاري مزودين بالمدفعية. فضلاً عن عدد من متطوعي الأناضول بلغ عددهم (200) مقاتل أيضاً الذين سمح السلطان سليم الأول بتجهيزهم ومنحهم نفس امتيازات الإنكشارية. وبذلك أصبح تحت أُمرة خير الدين باشا بربروسا أربعة آلاف من جنود الانكشارية ومن متطوعي الأناضول الذين كون بهم خير الدين قوة الجزائر الحربية[23].

أصبحت مدينة الجزائر بذلك أول أجزاء المغرب العربي التي تدخل تحت السيادة العثمانية دون عمل عسكري اعتباراً من عام 1519م. وبادر أهلها بالدعاء للسلطان على منابر مساجدهم، وضربت العملة باسمه. فأصبحت الجزائر آنذاك مركزاً حربياً للدولة العثمانية لمواجهة الخطر الأوربي[24].

أثار دخول الجزائر تحت النفوذ العثماني قلقاً لدى الإنسان، لاسيما بعد فشلهم في عام 1518 في السيطرة عليها، لذلك قررت اسبانيا معاودة الهجوم على الجزائر بالاتفاق مع سلطان تلمسان أبي حمو الثالث الذي أعادوه إلى عرشه بعد قضائهم على عروج، لكنه لم يستمر في حكمه طويلاً، فقد توفي بعد ذلك[25]. ومع ذلك فإنهم مضوا في استكمال مشروع حملتهم ضد الجزائر، والتي ضمت (40) سفينة كبيرة تحمل على متنها (5) آلاف مقاتل من الأسبان الأوربيين. وكان قائد الحملة نائب ملك صقلية هوكودي منكاد (Hugo de Moncade) واشترك معه في القيادة القائد الإسباني كونزالفو مارينو دي ريبيرا (Gonzalvo Marino De Ribera) الذي مر بمدينة المرسى الكبير وأخذ معه جنداً وعتاداً ثم مر بمدينة بجابة وفعل الشيء نفسه الى أن وصل أمام مدينة الجزائر 24 أب/ أغسطس من عام 1519. ولكن بخبرة وذكاء خير الدين باشا بربروسا، استطاعت قواته أن تلحق الهزائم بالقوات الإسبانية وسفنها، وتأسر أكثر من (3000) مقاتل، بينما انهزمت بقية القوات التي ما كادت لتعود إلى مراكبها في البحر حتى استقبلتها عاصفة هوجاء أغرقت في البحر حوالي (4000) مقاتل، ولم يسلم من هذه المعركة إلا القليلين منهم، فكان نصراً مبيناً لخير الدين وقواته[26].

كانت أول حملات خير الدين باشا بربروسا ضدّ الأسبان، التخلص من حامية قلعة البينون الإسبانية المواجهة لمدينة الجزائر.

والتي سببت الكثير من المضايقات لسكان برج الفنار كونها فرضت رقابة شديدة على السكان وقيدت حركة سفنهم[27].

وفي عام 1529 بدأ خير الدين باشا بربروسا في قصف جدران الحصن، الذي كان يحتمي فيه حوالي خمسمائة جندي. بقيادة مارتن دي فيرغاس Martin De Vergas مجهزين بالأسلحة والعتاد الذي يجعلهم في مأمن من أي هجوم، والرد عليه لكن مدافع خير الدين باشا بربروسا التي استمرت في القصف مدة ثلاثة أسابيع. استطاعت أن تحدث فجوة كبيرة في الحصن وتمكنت قواته من اختراقه، والهجوم على الحامية الإسبانية، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم، بحيث لم يبق منهم سوى (25) جندياً مع قائدهم الذي استمر في المقاومة إلى أن وقع في الأسر ويذكر أنه مات جراء العمل الشاق الذي اجبر على القيام به[28].

بعد أن سيطر خير الدين باشا بربروسا على حصن البينون، أمر بتهديم أسواره ثم عمل على تهديم الحصن بكامله ليقوم مكانه بناء عمراني مهم لا يدل على عقلية معمارية متميزة امتلكها خير الدين، حينما أمر جماعة من الأسرى وبإشراف بنائين جزائريين متخصصين، بنقل الصخور والحجارة التي تراكمت من حصن البينون، كما أرسل السفن إلى الجهة المقابلة نحو الخليج، عند مرفأ تاما نتغوس، لجلب صخور رومانية قديمة من هناك، من أجل القيام ببناء جسر لربط البر بجزيرة اصطفلة –حيث كان حصن البينون-

والذي سمي جسر خير الدين. ثم قام بربط الجزر العشرين الموجودة هناك بعضها ببعض ببناء دائري قوي، ليست فيه إلا فتحة واحدة، وبهذا انشأ مرسى لمدينة الجزائر يكون مقراً للأسطول ليحميه من العواصف القادمة من الغرب[29].

عزم خير الدين باشا بربروسا بعد ذلك على تخليص بقية المدن المحتلة من أيدي الأسبان. واستلزم ذلك إعداد جيش كبير نظراً للحاميات القوية التي كانت موجودة في تلك المدن، لاسيما في كل من وهران والمرسى الكبير. لذلك دعا خير الدين باشا بربروسا المسلمين كافة إلى الانضمام إلى جيشه بسرعة. ثم توجه بأسطوله المؤلف من (15) سفينة نحو السواحل الإسبانية، موقعاً فيها الخسائر التي اضطر السكان على أثرها ترك قراهم[30]. فوجد شارل الخامس ضرورة توجيه أسطول اسباني مؤلف من (12) سفينة حربية لمهاجمة أسطول خير الدين باشا، فأخذت مدافع الأسطول الإسباني تلقي بقنابها على أسطول خير الدين باشا بربروسا من تحطيم الأسطول الإسباني كله عدا سفينة واحدة استطاعت أن تهرب[31]. فكانت فرحة المقاتلين بهذا النصر لا توصف، حيث تمكنوا من السيطرة على القسم الغربي للبحر المتوسط الذي أصبح وكأنه بحيرة عثمانية، بعث على أثرها السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) فرماناً خاصاً (خطي شريف) إلى خير الدين باشا بربروسا يهنئه بهذا النصر، لاسيما بعد رفعه الراية العثمانية في قلب المغرب العربي[32].

وعلى الرغم من الخسائر التي لحقت بالأسبان خلال هذه الفترة، لكن ذلك لم يوقف عدائهم لخير الدين باشا بربروسا وسكان الجزائر، حيث صمموا على احتلال هذه البلاد، لكي يجعلوا من الساحل الجزائري الشرقي والغربي الذي يسيطرون عليه بواسطة مراكزهم في بجاية ووهران نقطة انطلاق لهم للسيطرة على المغرب العربي كله. ولهذا قرر الإمبراطور شارل الخامس. إعداد حملة بحرية جديدة وضعها تحت قيادة أشهر وأبرع بحار جنوي هو الأميرال أندريا دوريا Andrea de Auria. ليتمكن من تحطيم قوة خير الدين باشا بربروسا[33].

ففي عام 1531م غادر الأسطول الاسباني المرسى الإيطالي الكبير وكان يتألف من عشرين سفينة، تحمل على متنها ألف وخمسمائة من المقاتلين الأشداء، متجهة نحو الساحل الجزائري. علماً أن خير الدين باشا بربروسا كان على علم بخروج هذا الأسطول لكنه لم يكن يعلم وجهته. ومع ذلك جمع أسطوله المؤلف من أربعين سفينة وأعلن حالة الطوارئ في البلاد. ثم علم أن هدف الحملة مدينة شرشال تلك المدينة التي لها أهمية كبيرة كونها أكبر مركز من مراكز الدولة الحديثة، والتي حرص عروج من قبل على تحصينها عندما بنى لها قلعة قوية، والآخر للأخشاب معتمداً على غابات الونشريس القريبة منها للاستفادة منه في بناء السفن. كما كان موقعها الاستراتيجي الذي يبعد 120كم شرق الجزائر وغرب وهران، يشكل خطراً على مدينة الجزائر القريبة منها. فضلاً عن معرفة

اندريا دوريا بحال المدينة التي لم تكن فيها حامية كافية للدفاع عنها عند تعرضها للخطر الخارجي، وإمكانية السيطرة عليها سيكون أمراً سهلاً[34] وفعلاً تمكن اندريا دوريا من اقتحام المدينة، وعمل قتلاً ونهباً بالسكان. مما ساعده في ذلك معرفة الأسبان بمخابئ الأسرى النصارى وفك أسرهم وتعاونهم معه في ذلك العمل. لكن خير الدين باشا بربروسا لم يتركهم دون عقاب، فقد أنزل قواته لتعمل سيوفهم قتلاً بقوات اندريا دوريا، كما دمرت قذائف مدافعه الكثير من سفن الأسطول الإسباني، فكبدهم خسائر كبيرة، سقط منهم أثر ذلك حوالي ألف وأربعمائة من الاسبانيين، وتم أسر ستمائة منهم، فلم يبق منهم سوى ثلاثمائة مقاتل لاذوا بالفرار إلى سفنهم التي نجت من قنابل المدافع الجزائرية[35].

أما أندريا دوريا، فقد ذهل من الصدمة، وتأكد أن لا قدرة له على منازلة أسطول خير الدين باشا بربروسا والوقوف أمامه، فقرر مغادرة المدينة، فلحقه خير الدين باشا بربروسا، واستولى في طريقه على سفينتين أسبانيتين محملتين بالمؤن والأعتدة. وهكذا فشل أندريا دوريا في عام 1531م في تحقيق هدفه، لكنه عزم على الرد والانتقام من خير الدين باشا بربروسا الذي اعتبره عدوه اللدود. لأنه نال من هيبته وهزمه في المعركة وهو الذي ذاع صيته في أوربا كلها، كما نال من هيبة الإمبراطورية الإسبانية التي كانت تعد أقوى دولة في أوربا آنذاك[36].

عاد خير الدين باشا بربروسا لمواصلة نشاطه البحري في البحر المتوسط، راغباً في السيطرة على الحوض الشرقي منه. لذلك شرع في إعداد القوة اللازمة لهذا العمل، لاسيما حينما لاحظ ضعف روح الانضباط لدى الجيش الانكشاري، فقرر إنشاء قوة جديدة إلى جانبهم، فكون له جيشاً من (500) مقاتل من الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام، وفرقة عن هذه الخطوة بسبب توالي غارات دوريا على شرق مالطا والمغرب العربي[37]. وكرد فعل على هذه الغارات التي كان يشنها دورياً اضطر السلطان سليمان القانوني أن يوجه اهتمامه الرئيس نحو البحر المتوسط، بعد أن يجد له قيادة بحرية توازي قوة اندريا دوريا، فلم يجد أفضل من خير الدين باشا بربروسا ومجاهدي الجزائر للقيام بهذه المهمة. لاسيما بعد أن وصلته أخبار الانتصارات التي حققها خير الدين باشا بربرسا على الأسبان في المغرب العربي. فأرسل السلطان سليمان القانوني رسولاً إلى ولاية الجزائر في ربيع عام 1533م يحمل أمراً باستدعاء خير الدين باشا بربروسا وقادته إلى استانبول[38].

وصل خير الدين باشا بربروسا إلى استانبول في نهاية عام 1533م، واستقبل أفضل استقبال من السلطان القانوني الذي أكرمه مع رفاقه وألبسهم الخلع، ثم تداول معه في موضوع البحرية العثمانية. ولما كان السلطان يتهيأ حينئذ لحملة عسكرية ضد الدولة الصفوية وكان قد أرسل أولاً جيشاً بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي وصل إلى حلب حينئذ ليقضي فصل الشتاء فيها، فقد اتجه خير الدين

باشا بربروسا إلى حلب بناء على دعوة الصدر الأعظم إبراهيم باشا. وهناك حظي خير الدين باشا بربروسا ورفاقه بتكريم من الصدر الأعظم الذي بحث معه أيضاً موضوعات تخص القوة البحرية العثمانية[39] وعاد خير الدين باشا بربروسا بعدها إلى استانبول حيث عين قائداً للأسطول العثماني "قبودان باشا" وهو لقب كان خير الدين باشا بربروسا أول من حصل عليه، فضلاً عن احتفاظه بكلربك الجزائر. ثم شرع بعد ذلك في إعادة تنظيم الأسطول العثماني، وبناء سفن جديدة بإشراف بحارته والفنيين الذين جلبهم معه[40].

وعلى أثر ذلك وجد السلطان سليمان القانوني ضرورة ضم تونس إلى السيادة العثمانية، وقد دفعه إلى ذلك عوامل عديدة منها أهميتها الإستراتيجية ولتوسطها بين الجزائر وطرابلس الغرب، وقربها من إيطاليا ومن جزيرة مالطة مقر فرسان القديس يوحنا حلفاء الإمبراطور شارل الخامس، فضلاً عن الإمكانيات الهائلة التي توفرها موانئها في التحكم في المواصلات البحرية في البحر المتوسط، كما أن اضطراب الأوضاع الداخلية للدولة الحفصية، ودخول السلطان الحفصي تحت الحماية الإسبانية شجعت السلطان سليمان القانوني على التفكير في إلحاق تونس بالدولة العثمانية[41].

أعد خير الدين باشا بربروسا القوة اللازمة لهذا الأمر وبمساعدة السلطان سليمان القانوني، واتجه بأسطوله نحو تونس، حيث وصل عنابة، وتزود منها بالمدد الذي بعثه حسن آغا والي

الجزائر، ثم ظهر أمام ميناء تونس في شعر آب/ 1534م حيث تمكن من السيطرة على المدينة، وأعلن إنهاء الحكم الحفصي وتبعيتها للدولة العثمانية، وبذلك استطاع خير الدين باشا بربروسا أن يقوض سيطرة الإمبراطور شارل الخامس على المياه الضيقة في قلب البحر المتوسط، والتي من خلالها ستتمكن الدولة العثمانية من فتح باقي أجزاء المغرب العربي[42].

تابع خير الدين باشا بربروسا حربه مع البندقية، التي تمكنت من الاستيلاء على قلعة Nuovo على ساحل دلماشيا، لكن خير الدين باشا بربروسا تمكن من استردادها بمساعدة بكلربك الروميلي خسرو باشا من ناحية البر. فتأثرت تجارة البندقية جراء هذه الحروب، ففي عام 1539م حدثت مجاعة قاسية في البندقية بسبب قلة الحبوب، فوجدت صعوبة كبيرة في توفير الطعام لمواطنيها بعد أن كانت تحصل عليه من الأراضي العثمانية، لذلك سعت البندقية على أثر ذلك الى الدخول في صلح مع الدولة العثمانية، وبعد مباحثات على تخلي البندقية عن قلاعها في المورة وساحل دلماشيا والجزر التي سيطر عليها خير الدين باشا بربروسا في حملته السابقة ودفع ضمانات تبلغ (300000) قطعة ذهبية للعثمانيين[43].

وبينما كان خير الدين باشا بربروسا منشغلاً في الجبهة الأوربية، كان حسن آغا والي الجزائر هو الآخر يعمل على توطيد الأمن في البلاد، ووضع أُسس الإدارة المستقرة ليتمكن من جمع

أطراف البلاد حول السلطة المركزية الجزائرية، وبالتالي يركز جهوده في مقاومة الأسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط[44].

المحور الثاني : البحرية الجزائرية في عهد حسن باشا

كانت أول أعمال حسن آغا إخضاع مدينة مستغانم لدولة الجزائر، ثم تقدم باتجاه الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمة الزاب (بكرة) وملحقاتها، وشيد هناك حصناً وأقام به حامية. وفي أيلول 1539م توجه حسن آغا باسطول مؤلف من (13) سفينة على متنها (1300) مقاتل نحو بلد جبل طارق. واحتل البلدة على حين غفلة من أهلها ومن الحامية الإسبانية الموجودة فيها، وغنم منها الكثير من الغنائم، ثم أخذ بالتوغل في الساحل الإسباني الجنوبي، مستحوذاً على ما يقع تحت يده من أموال ومتاع وأسرى يسوقهم للبيع في المدن المغربية الشمالية[45].

اكتسبت الجزائر مكانة مهمة في عهد حسن آغا، جعلت البابا بول الثالث يستنجد بالإمبراطور شارل الخامس لإيقاف هذا الخطر، وينبهه بأن ذلك لن ينتهي إلا بالسيطرة على الجزائر، لاسيما وأن هذا الإمبراطور سيأمن جانب فرانسو الأول ملك فرنسا بحكم هدنة نيس التي لم تنته بعد. إلى جانب ذلك كان الإمبراطور شارل الخامس يسعى للسيطرة على الجزائر التي أصبحت تشكل خطراً كبيراً على السواحل الإسبانية بعدما أصبحت قاعدة قوية وحصينة للسلطان سليمان القانوني يستطيع من خلالها تهديد

السواحل الإسبانية. وقد وجد الإمبراطور شارل الخامس ضرورة الإسراع بغزو الجزائر لاسيما بعد أن وصلته أخبار من أوربا عن نجاح السلطان سليمان القانوني باحتلال المجر، وإقليمي بودا Buda وبست Pest في آب من عام 1541م وضمها تحت السيادة العثمانية. بعد أن قامت بتحويل أكبر كنائسها إلى مسجد، فكان ذلك بمثابة إهانة وتهديد كبير للدول الأوربية[46].

لذلك أعد الإمبراطور شارل الخامس حملة من اكبر الحملات في القرن السادس عشر الميلادي. وتحديداً في عام 1541م ضمت جيشاً مؤلفاً من قوات ألمانية وإيطالية ومن جنوة، كما أرسل الباب بول الثالث قوة عسكرية يقودها حفيده كولونا، فضلاً عن مشاركة قوات فرسان القديس يوحنا. بحيث أصبح مجموع قوات المتحالفين وعدتهم بحدود (116) سفينة حربية ونحو (36000) بحار ومقاتل. تحت قيادة اندريا دوريا وعدد من كبار القادة البحريين. بينما كانت القيادة العامة للحملة تحت قيادة الإمبراطور شارل الخامس الذي أراد أن يكون له شرف الاستيلاء على الجزائر. ليحقق بذلك أهدافه السياسية والإستراتيجية في المغرب العربي[47].

وصل أسطول المتحالفين الأوروبيين أمام مدينة الجزائر في 20 تشرين الأول 1541م واتخذ من منطقة وادي الحراش اليسرى الواقعة شرقي الجزائر مقراً له. وفي هذه الأثناء جمع حسن آغا أعيان وكبار رجال الدولة في البلاد، وحثهم على الجهاد والدفاع عن البلاد قائلاً لهم : "... لقد وصل العدو إليكم ليسبي أبناءكم وبناتكم،

فاستشهدوا في سبيل الدين الحنيف، هذه الأراضي فتحت بقوة السيف، ويجب الحفاظ عليها وبعون الله النصر حليفنا، نحن أهل الحق..." فاستجاب له الكثير من سكان البلاد، ثم أخذ حسن آغا في إعداد جيشه لخوض المعركة[48].

وفي هذه المعركة برزت شخصية الحاج بشير الذي كان له الدور الجهادي في قيادة القوات الجزائرية وإحراز النصر في هذه المعركة. ومن جهة أخرى هبت عاصفة شديدة وأمطار غزيرة كانت السبب في تحطيم أغلب سفن الأسبان، وجرفت خيمهم ومؤنهم في البحر، فضلاً عن قتلها العديد من الجند وإغراقهم من على سفنهم، بل ساعدت هذه العاصفة عدداً من أسرى المسلمين كانوا يعملون مجذفين على السفن الإسبانية من الهرب، ومقاتلة الأعداء وهكذا ساعدت العاصفة على إفشال الهجوم الإسباني على الجزائر[49].

وفي أثناء ذلك وصل أسطول خير الدين باشا لنجدة الجزائر ومساعدة أهلها وخليفته حسن آغا، إلا أنه كان قد وصل متأخراً، علماً أن خير الدين باشا بربروسا كان قد أعد منذ معرفته باستعداد اسبانيا لغزو الجزائر أسطولاً مؤلفاً من (100) سفينة ليوجه نصفها نحو شواطئ إفريقية، ويوجه النصف الآخر ضد الأسطول الإسباني، إلا أن رجال الديوان السلطاني لم يوافقوا في بداية الأمر على تخطيطه هذا لأنهم رأوا عدم إمكانية إرسال مثل هكذا عدد من سفن الأسطول إلى ولاية الجزائر والدولة العثمانية في حال حرب، لكنهم في الوقت ذاته وعدوا خير الدين باشا إرسال المدد بسرعة عند وصول الأعداء بالقرب

من ولاية الجزائر، وما أن سمعوا بوصول الحملة بالقرب من ولاية الجزائر حتى تحرك أسطول خير الدين باشا بربروسا نحو ولاية الجزائر، مع تعزيزات كان قد بعثها السلطان سليمان القانوني إلى أهالي الجزائر تقوية لموقفهم. لكن خير الدين باشا بربروسا كان قد وصل بعد انتهاء المعركة وانسحاب أسطول الإمبراطور[50].

كانت هذه الحملة هي آخر مشاريع الإمبراطور شارل الخامس ضد السواحل الجزائرية، وعلى أثرها أصبحت الجزائر في نظر أوربا تلك المدينة التي لا تقهر ولا يمكن غزوه، وأعطت للجزائريين شعوراً قوياً بالمنعة والبأس. وقد وصف الشيخ حسن بن رجب شاويش في تاريخه المختصر عن باشوات وعلماء الجزائر، وهو عبارة عن مخطوطة جزائرية، وضع الجزائر بعد الحملة بقوله : "...وفرج الله تعالى عنهم، وفرح أهل الجزائر بهذا النصر العظيم... وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الأسعار وامن الأقطار، ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها وبقي رعب المسلمين في قلوب أعداء الدين مدة من الزمن بأمر الملك المنان..."[51].

أما بالنسبة إلى حسن آغا فقد تلقى أثر انتصاره هذا، تكريماً من السلطان سليمان القانوني الذي منحه لقب "باشا" لحسن تدبيره ورباطة جأشه وهي المرة الأولى التي يمنح فيها السلطان مثل هذا اللقب لأحد العاملين في ولاية الجزائر[52].

نماذج من سفن البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر.

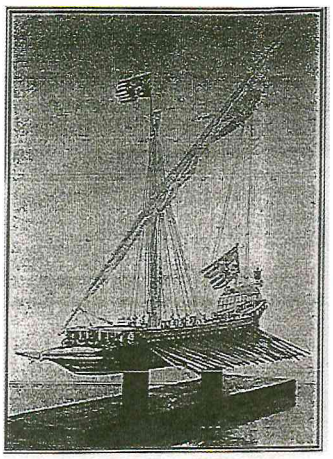

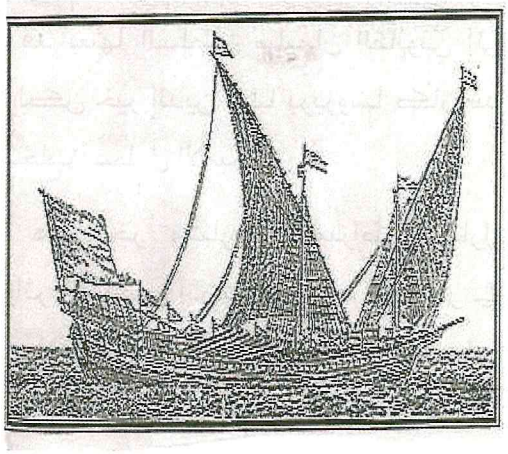

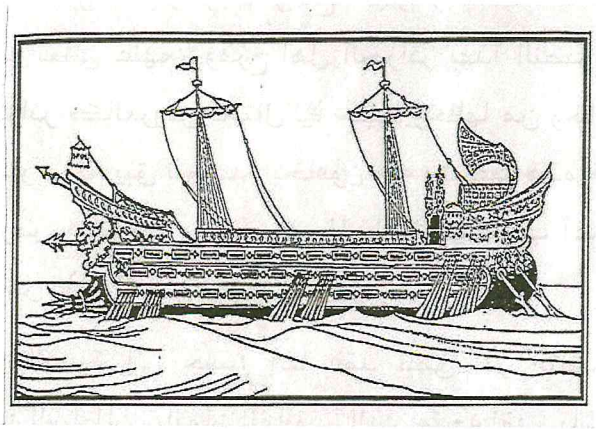

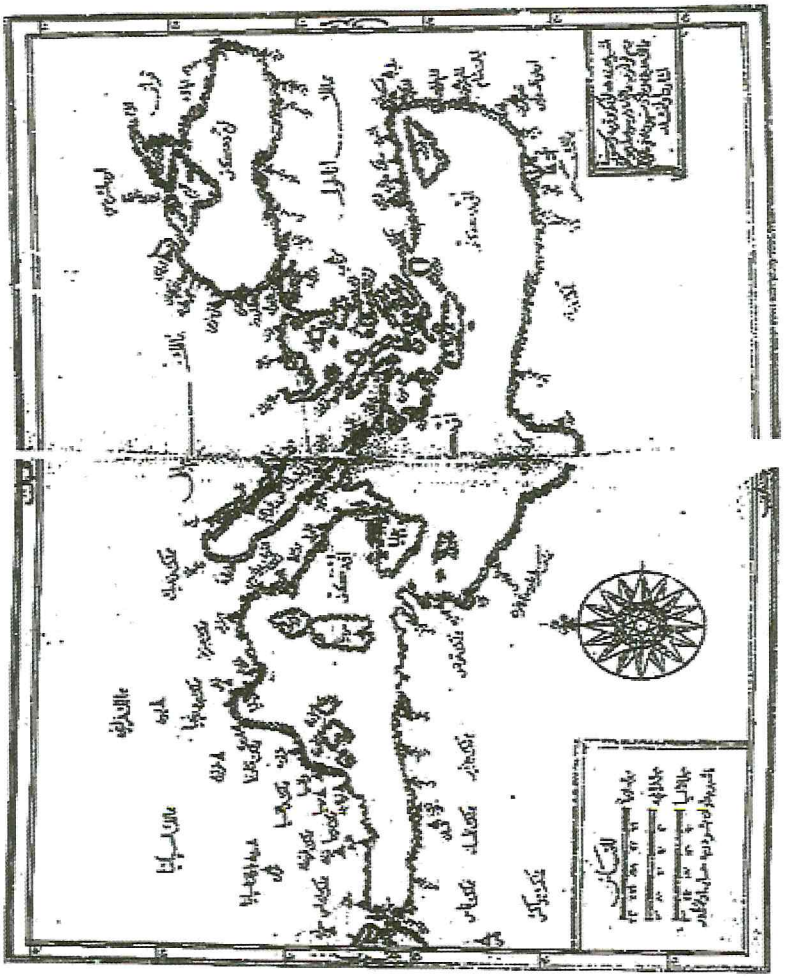

خارطة توضح الموانئ الجزائرية في القرن السادس عشر كما رسمها كاتب جلبي

الهوامش :

(1)- كلمة (جلبي) تزكية الأصل وهي مشتقة جلب أي الرب, وكانت تعني بالأساس من كانت له علاقة بالله وقريب منه ولكنها صارت فيما بعد تطلق على من هو متعلم في قومه أو صاحب منزلة اجتماعية,كما تلقب أولاد السلاطين بهذا اللقب, وفي العهد العثماني الأخير حمل هذا اللقب التجار أيضا. أنظر علي شاكر علي, "مؤلفات حاجي خليفة مصدرا لدراسة لدراسة تاريخ العراق الحديث" بحث منشور ضمن كتاب (تحية تقدير للأستاذ من مخاييل كيل) جمع وتقديم عبد الجليل التميمي, (زغوان, 1999)، ص. 77.

(2)- جي. اجي. مورتمان, مادة (حاجي خليفة) في دائرة المعارف الإسلامية, المجلد السابع، ص. 235.

(3)- بروسة لي محمد طاهر, عثمانلي مؤلفلري, (استانبول, 1324), جـ. 3, ص. 239.

(4)- مورتمان, المصدر السابق, ص. 237, خالدة زياد, اكتشاف التقدم الأول, دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر, ط. 1، (بيروت, 1981), ص. 27.

(5)- علي, المصدر السابق, ص. 80.

(6)- رابحة محمد خضير عيسى الجبوري، موقف القوى الإسلامية من التوسع الأوروبي في المغرب العربي 1492 – 1578، دراسة تاريخية (أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، 2006)، ص. 88.

(7)- كاتب جلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار، (القسطنطينية، 1142)، ص. 12, وسنشير إلى هذا المصدر لاحقا باسم تحفة الكبار, والحقيقة بقد اختلفت الروايات في تحديد أصل الأسرة منها من تذكر أن أبوهم كان مسيحيا ثم اسلم ومنها تذكر انه كان إماما في جيش السلطان محمد الثاني وغيرها من الروايات ولكن في رائينا أن رواية كاتب جلبي هي الأدق من بين جميع هذه الروايات لأنه كان الأقرب للفترة الزمنية التي ظهرت فيها الأحداث.

عن هذه الروايات أنظر : زاهر رياض، شمال افريقيا في العصر الحديث (القاهرة، 1967)، ص. 61 ؛ جلال يحيى، المغرب العربي الكبير، جـ. 3، (القاهرة، 1966)، ص. 20 ؛ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792 (الجزائر د. ت) ص. 156.

(8)- فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر) (بيروت، 2007)، ص. 531.

(9)- تحفة الكبار، ص. 13.

(10)- نفس المصدر.

(11)- نفسه، ص. 13.

(12)- نفسه، ص. 14.

(13)- نفسه ؛ بيات، المصدر السابق، ص. 532.

(14)- تحفة الكبار، ص. 14.

(15)- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، جـ. 1، (استانبول، 1309)، ص. 134.

(16)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 116.

(17)- تحفة الكبار، ص. 16.

(18)- نفسه ؛ الجبوري، المصدر السابق، ص. 116.

(19)- تحفة الكبار، ص. 16.

(20)- نفسه ؛ عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، يوليو – تموز 1976، ص. 118.

(21)- تحفة الكبار، ص. 17 ؛ التميمي، المصدر السابق، ص 118.

(22)- تحفة الكبار، ص. 17 – 18.

(23)- نفسه، ص. 18.

(24)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 120.

(25)- تحفة الكبار، ص. 18.

(26)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 121 ؛ بسا العسلي، خبر الدين بربا روسا والجهاد البحري (1470 -1547)، ص. 109.

(27)- تحفة الكبار، ص. 19.

(28)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 127 ؛ علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل عام 1830 (الجزائر، 1972)، ص. 170.

(29)- تحفة الكبار، ص. 19.

(30)- نفس المصدر، ص. 20.

(31)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 129.

(32)- تحفة الكبار، ص. 20.

(33)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 130.

(34)- المدني، المصدر السابق، ص. 222.

(35)- العسلي، المصدر السابق، ص. 125.

(36)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 131.

(37)- تحفة الكبار، ص. 20.

(38)- نفسه.

(39)- نفس المصدر، ص. 21.

(40)- نفسه.

(41)- نفسه.

(42)- نفسه ؛ الجبوري، المصدر السابق، ص. 151.

(43)- تحفة الكبار، ص. 21.

(44)- نفسه.

(45)- نفسه.

(46)- نحند خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الجزائري (بيروت، 1969)، ص. 36.

(47)- تحفة الكبار، ص. 21.

(48)- نفس المصدر ؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (القاهرة، 2004)، ص. 271.

(49)- تحفة الكبار، ص 22

(50)- نفس المصدر، ح. الجبوري، المصدر السابق، ص. 154.

(51)- الجبوري، المصدر السابق، ص. 154.

(52)- تحفة الكبار، ص. 22.